

نبذة عن كتاب جديد

تحت عنوان (حوارات اللحظة الحرجة: قراءات عربية لتحديات الراهن)

شاركت د. لطيفة الكندري مديرة مركز الطفولة والأمومة في كتاب جديد بعنوان حوارات اللحظة الحرجة: قراءات عربية لتحديات الراهن (2006 م) وهو من إعداد نعيم صالح إبراهيم وباسمة محمد حامد ومن تقديم د. جورج جبوري. الكتاب من إصدارات دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر في دمشق. يتضمن الكتاب سلسلة من الحوارات الهامة حول العديد من القضايا الراهنة والاستشرافية الملحة والتي تم الفرد العربي والباحث والمفكر والطالب, ويناقش الكتاب المحاور التالية:

أولاً- الاستشراق.

ثانياً- الإعلام وثورة التكنولوجيا.

ثالثاً- التربية والتعليم في الوطن العربي.

رابعاً- الحداثة وما بعدها.

خامساً- حوار الحضارات

سادساً- عقلنة العولمة.

سابعاً- نهاية المثقف.

لقد شارك في الحوارات العلمية 50 شخصية وهم نخبة من المربين والمثقفين والأدباء السياسيين والمسؤولين العرب الذين ينتمون إلى أكثر من عشر جنسيات عربية في تقديم رؤيتهم حول الوضع التربوي الراهن. وتأتي مشاركة د. لطيفة الكندري في المحور الثالث الذي يدور حول (التربية والتعليم في الوطن العربي).

يعتبر الكتاب أول تجربة تقدم فيها مجموعة من الحوارات حول عدد من المحاور والقضايا الهامة ثقافياً ضمن كتاب واحد, مما يسهل للباحث والدارس الحصول على مرجع متعدد الموضوعات.

التربية و التعليم في الوطن العربي ..

حوار مع د. لطيفة حسين الكندري

قسم الأصول والإدارة التربوية في كلية التربية الأساسية

دولة الكويت

أجرى الحوار كل من:

الأستاذ. نعيم إبراهيم الأستاذة: باسمه محمد حامد

8 رجب 1426 هـ

13 - 8 - 2005 م

الفهرس

| | |
|----|-------------------------|
| 5 | السؤال الأول : |
| 6 | معالجة المشكلات الخفية |
| 7 | معالجة المشكلات المرئية |
| 10 | السؤال الثاني : |
| 11 | السؤال الثالث : |
| 13 | السؤال الرابع : |
| 15 | السؤال الخامس : |
| 16 | السؤال السادس : |
| 17 | السؤال السابع : |

المقدمة

الدكتورة لطيفة المحترمة..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

يسرنا أن نعلمكم بأننا نعد كتابا حواريا حول العديد من القضايا الراهنة والاستشرافية الملحة والتي تهم الفرد العربي ..الباحث .. المفكر .. الطالب .. والمهتم.. ويناقش الكتاب المحاور التالية:

أولا- حوار الحضارات

ثانيا- الاستشراق

ثالثا- نهاية المثقف

رابعا- عقلنة العولمة

خامسا- الحداثة وما بعدها

سادسا- الإعلام وثورة التكنولوجيا

سابعا- التربية والتعليم في الوطن العربي

قد وضعنا العديد من الأسئلة لكل محور من المحاور التي ذكرناها ونود مشاركتكم في محور (التربية والتعليم في الوطن العربي) وذلك .. للإفادة من خبرتكم في هذا الجانب ولكم جزيل

الشكر والامتنان..

المرسل:

نعيم إبراهيم - إعلامي فلسطيني: مذيع ومعد برامج سياسية وثقافية في إذاعة القدس, ومن البرامج التي يعدها ويقدمها: برنامج (مستقبلات) وبرنامج (حوار القدس) وغيرها .. وهو عضو في اتحاد الكتاب الفلسطينيين وينشر مقالاته في مجلة (صوت فلسطين) الشهرية التي تصدر بدمشق. باسمه محمد حامد - كاتبة سورية من إصداراتها (المرأة في إسرائيل بين السياسة والدين) دمشق - سوريا .

السؤال الأول :

التعليم العربي في نموه وتطوره منذ منتصف القرن الماضي يتصف بخصائص هي مؤشرات ضعف.. مثل تدني نوعية التعليم العربي وضعف الطالب والمدرس على السواء ونمطية التعليم العربي كيف يمكن معالجة هذه السلبيات ؟

يتضمن السؤال على مجموعة أسئلة حيوية متعلقة بالطالب وأداء الحكومات وطبيعة المناهج الدراسية ووسائل التربية وهي تحتاج إلى مقاربات تقديرية يمكن الولوج إليها بطرق عديدة وتحتاج لمراجعة وتطوير. وإن المتأمل في السياق التاريخي الذي عاش فيه العرب في القرن الماضي يجد بجلاء أن عملية التخلص من الاحتلال الأجنبي كان الهدف النهائي المصيري لعملية التنشئة العربية ولقد تحقق ذلك الغرض الغالي في معظم الأراضي العربية. كان الحلم العربي كبيرا ولكنه اصطدم بواقع أليم، وتناحر محلي مخجل، وتغير عالمي رهيب ومازلنا بحاجة لوقفات ناقدة للذات.

يمكن تقسيم المشكلات التي تواجه العالم العربي إلى مشكلات مرئية وأخرى خفية ومثال للشكل الأول أزمة الأمية المزمنة التي استفحلت في الأمة العربية كمرض عضال يطارد أكثر من مليون أمي في الوطن العربي وغالبيتهم من النساء. وقد تفرع من الأمية الأبجدية أميات لا حصر لها ولا تقل ضررا كالأمية القانونية والثقافية والتكنولوجية. علل كثيرة تلك أصابت العملية التربوية في جذورها من مثل غياب التفكير العلمي في معالجة الأمور، وسيادة التعليم التلقيني، وتهميش المرأة، والتقليل من شأن المهن اليدوية والابتعاد عن العلوم التقنية، والفنون الجميلة، والفلسفات الحديثة.

ومن عقبات التربية العربية ضعف إعداد المعلم حيث أن عددا كبيرا من المعلمين في العلوم الأدبية والعلمية في كل مراحل التعليم لم يتم تأهيلهم تربويا. بمعنى أنهم غالبا أكفاء في تخصصاتهم العلمية ولكنهم يفتقدون إلى التدريب التربوي المهني فلم يطلعوا بصورة كافية على مفاهيم تربوية أساسية كالفرق الفردية، ووسائل التعليم، ونظريات التعلم. ولا شك أنه مهما كان المعلم مخلصا في عمله، متواصلا مع طلابه، وعالما في تخصصه فهو بحاجة إلى التأهيل التربوي ليكون قادرا على دخول بوابة التعليم ومباشرة العمل في سلك التدريس سواء في مرحلة رياض الأطفال أو الدراسات الجامعية. إن العلاج الناجع هو الاستعانة بخريجين من الكليات التربوية وتقديم دورات مهنية لمن سبق تعيينهم. المعلم الحقيقي هو حجر الزاوية، وبصلاحه يصلح شأن التعليم كله.

معالجة المشكلات الخفية

المناهج الخفية (Hidden Curriculum) هي كما أشار لها فيليب جاكسون (Philip Jackson) ما تعلمه المؤسسات التعليمية للمتعلمين من سلوكيات اجتماعية، واتجاهات، وقيم، ومعارف خارجة عن نطاق الكتاب المدرسي واللوائح المكتوبة فالمدرسة ليست أداة لنقل المعلومات فقط. إن نظرة المعلم للطلاب، وتفسيره للأحداث، ونمط إدارة الفصل، وتوقعاته لقدرات المتعلمين تدخل ضمن المناهج الخفية المقصودة وغير المقصودة ولها أثر لا يقل عن المناهج الرسمية المكتوبة. قام الباحثون برصد وتقييم وتقييم المناهج الدراسية وهناك ندرة واضحة في الدراسات الخاصة بتحليل المناهج الخفية في وطننا العربي.

تهدف الدراسات المتعلقة بالمناهج الخفية إلى نقد الواقع الاجتماعي للحياة المدرسية (criticize the social reality of schooling). ومن صور المناهج الخفية أن المعلمة التي لا تؤمن بقدرات وطاقات النساء تقوم بتدريس ونقل هذا المعتقد الخاطئ وترسيخه في نفوس طالباتها، وكذلك المعلم الذي يشرح مادته ويؤكد لطلابه بأن قلة منهم قادرة على استيعاب هذا العلم. إن تخصيص زيارة المكتبة بمادة اللغة العربية قيمة خاطئة نغرسها دون قصد في الناشئة ومن المفترض أن يصطحب المعلمون طلابهم في جميع التخصصات إلى المكتبة إذ لا يمكن أبدا أن تكون وظيفة المكتبة محصورة في تعلم اللغة العربية في حصص المطالعة فقط. إن الاجتهاد بالتحدث باللغة العربية المبسطة خارج الفصل طريقة ومنهج في توصيل الأفكار والمعلومات والقيم. ومثال أخير لذلك فإن المواد التي تكون قليلة في الجدول الدراسي وتدرس في الحصص الأخيرة في اليوم الدراسي قد تعطي الطالب صورة سلبية لقيمتها التعليمية.

إن المدارس العربية التي تدرس قيمة الشورى وتعلي من شأن الصلاة واللغة الفصيحة وحسن التعامل والحرية والعدالة والديمقراطية في مناهجها الدراسية بحاجة لممارستها داخل أسوار المدرسة بداية وأي تناقض فإن الواقع سيتفوق على النظرية، وما قرره الكتب المدرسية ستبدده الممارسات العملية لأنها أثقل في الميزان مما يقال باللسان، وقدما قال الغزالي أن أهل الأبصار أكثر من أهل البصائر. إن خلاصة الدراسات فيما يتصل بالمنهج الخفي تؤكد على أن التربية عملية اجتماعية (Socialization process) متعاضدة تحتاج إلى التنغم بين المقاصد المعلنة والممارسات الميدانية.

معالجة المشكلات المرئية

أما بالنسبة للمشكلات المرئية فيمكن مناقشتها في ضوء النقاط التالية:

- ضرورة استخدام التربية بالمعاينة وقد بينت في كتابي **تعليقة أصول التربية** أن التربية بالمعاينة حاجة تعليمية بالغة الأهمية. إن الخبرة والممارسة أثبت وأرسخ في الذهن من سماع المحاضرات. وقد قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْمُعَايَنَةِ) والمُعَايَنَةُ هي المشاهدةُ بِالْعَيْنِ، ونزول الميدان، والاستفادة من الخبرات. إن الطفل عندما يكتب في حصة التعبير عن فصل الربيع وهو في حديقة المدرسة أقدر على الوصف وأدق في الأداء، والطالب الذي يخرج إلى الميدان لينظر إلى الكثبان الرملية والعواصف الترابية يستطيع أن يدرك عراقيل التوسع في الزراعة في البيئات الصحراوية فيقترح الحلول المناسبة بمزيد من التدبر ويعايش المشكلات عن كثب فيبحث فيها متبصرا وينقب عنها متفحصا.
- عدم الاقتصار على استخدام الذكاء العقلي التقليدي لقياس مستوى الطالب في التحصيل الدراسي والحذر من الانسياق الكلي خلف فلسفة اختبار الذكاء العقلي Intelligence Quotient المشهور بـ (IQ). ويمكن الإفادة من المضامين التربوية لنظرية الذكاءات المتعددة (MI) Multiple intelligences التي تعتمد على أسلوب حل المشكلات، والتدريب على المهارات الحياتية وتنمية الذكاء العاطفي والاجتماعي والحركي والموسيقي.
- إعادة النظر في فلسفة مؤسسات التعليم الديني والمدني لأنها تعاني من أحادية المعرفة. يعاني التعليم الديني والمدني من قصور واضح، وتناقض فاضح وبينهما بون شاسع في المخرجات التعليمية فقد تجد أستاذا في الجامعة لا يعرف كيف يستخرج حديثا أو يستشهد بآية لأنه اشتغل بالتمدن وقد تجد أستاذا آخر في نفس القسم العلمي تخرج في مؤسسة دينية لا يعرف كيف يستخدم جهاز الحاسوب ولا يستطيع أن يساير الثورة المعلوماتية.
- الإفادة من التقارير البحثية الموسعة وتفعيل توصياتها ونشر نتائجها لتطلع عليها الجماهير العربية والمؤسسات المعنية. ذكر تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام (2004 م) الصادر من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أن الوطن العربي يعاني من نواقص ثلاث: الحرية، المعرفة، وتمكين النساء من أجل تنمية بشرية سليمة ومجتمع أساسه المعرفة.
- تقليص هجرة العقول ذات التخصصات النادرة إلى البلاد الأجنبية فهجرتها من ضمن عوائق التعليم التي تهدد اقتصاد الشعوب، وتشتت الطاقات، وتبدد الآمال. إن تحسين

الأوضاع المادية وتوفير الحرية العلمية من ضرورات مواجهة هجرة العقول العربية التي لم تجد الأحضان الدافئة التي تستوعب طاقتها وترحب بإبداعاتها.

• لا بد من الاعتراف بأمراضنا التربوية لمعالجتها من داء التقصير وبلاء التبرير والتوقف عن لوم الغرب أو الأنظمة الحاكمة في كل صغيرة وكبيرة. إن واقع العقل العربي لَمْ يَعْبَأُ بِحَالِهِ فَأَصَابَهُ دَاءٌ مَقِيْتُ هُوَ دَاءُ الْغَفْلَةِ وَالْغُرُورِ فَأَصْبَحَ الْمَرْءُ فِي الشَّرْقِ يَظُنُّ أَنَّهُ مَسِيرٌ غَيْرُ مَخِيرٍ وَيَسِيرٌ شَارِدًا عَنِ طَرِيقِ الْخَيْرِ فَيَحْمِلُ الْأَنْظُمَةَ السِّيَاسِيَةَ وَزُرَّ كُلُّ الشُّرُورِ. أَخْطَاؤُنَا ذَرِيعَةٌ لَغَيْرِنَا لِلتَّدْخُلِ فِي شُؤْنِنَا وَالتَّحْكَمِ بِمَقْدَرَاتِنَا. إن دراسة الفكر التربوي تدلنا على أن القابلية للهزيمة تنبع من خواء الذات أولاً مما يجعل الآخر والعدو المتربص يطمع في السيطرة وما فسدت الشعوب إلا بفساد حكامها، وما فسد الحكام إلا بتقصير قادة التربية فهم بناء الأجيال وأمناء الأمة. قال الحق سبحانه "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ" (الرعد: 11). إننا كواقع لا نريد تغيير أنفسنا في المقام الأول بل للأسف نطالب بإصلاح السياسة محلياً وعالمياً وننادي بالإصلاح السريع بلا سعي حثيث. نعم لا يمكن التقليل من شأن الجانب السياسي فَإِنَّ "اللَّهَ يَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ" ولكن المسؤولية الفردية لا تسقط أبدا مهما طَوَّحَتْ بِهَا طَوَائِحُ الزَّمَنِ، وتظل التربية السليمة طريق التنمية المستدامة. وبعض الحركات الشعبية - الإسلامية والعلمانية- تشحن الشعوب بالكراهية وتأجج نيران الفتن ضد الغير دون نقد لذاتها، ومراجعة لرؤاها، وفهم للواقع محلياً وعالمياً.

• تعزيز التعاون بين القطاع الخاص وبين القطاعات الحكومية وفق إطار يحقق الربح للطرفين فإن عزلة القطاع الخاص خسارة قومية أدت إلى ضعف في الجانب الثقافي والتعليمي في البلدان العربية.

• إتباع الأساليب العلمية في تقويم النظام التربوي في البلاد العربية، والمشاركة في المسابقات العالمية والتي تقوم بها المنظمات الدولية لقياس التحصيل التعليمي وتتيح فرص المراجعة والمقارنة. إن تلك المسابقات الإقليمية أو الدولية تعطي مؤشرات تعليمية مستقلة وذات قدر كبير من الموضوعية لجوانب القوة والتحدي في كل نظام عربي.

• استغلال التكنولوجيا الحديثة والكمبيوترات في إثراء العملية التعليمية كما وكيفا.

• تنمية الرقابة الذاتية وتعزيز الوازع الديني وكما قال أبو نواس:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تُحَسِّنَنَّ اللَّهَ يَغْفَلُ سَاعَةً وَلَا أَنْ مَا يَخْفَى عَلَيْكَ يَغِيبُ

بالرغم من كثرة وتشابك مشكلات التعليم في الوطن العربي, فإن هناك الكثير من الدول العربية التي قطعت شوطا لا بأس به نسبيا في تحسين أوضاعها في عدة ميادين مثل القضاء على الأمية، ولازالت الجهود تبذل في ذلك الأمر وإن توثيق ونشر التجارب الناجحة في مدارسنا العربية - مهما كانت صغيرة - ذات قيمة عظيمة في تطوير الواقع نحو المزيد من الانجازات. ومن هذه النقطة العملية، فإننا بحاجة إلى بذل كافة الجهود المحدية لرفع مستوى النظام التربوي في الوطن العربي, وذلك من خلال إجراء المزيد من البحث والدراسة الجادة في هذا الميدان وإيجاد لجان محايدة ومتخصصة تدون التحديات والتوصيات لترشيد المسيرة التنموية ولم تعد الحكومات وحدها قادرة على إدارة دفة التعليم إلا بتفعيل مؤسسات المجتمع المدني كل في مجاله.

السؤال الثاني :

يعتقد البعض أن التعليم العربي تسبب في انفصام في شخصية وعقل الإنسان العربي بتقديم المعرفة والنظر إليها كمعرفة مادية فقط ومهمشة ، ونظر إلى المعرفة الإنسانية على أنها غير مهمة لماذا برأيكم؟

هناك نسبة كبيرة محرومة أساسا من نعمة التعليم أما الطائفة التي تنعم بنعمة التعليم فإن المخرجات غير مرضية قياسا لغيرها في دول العالم ، واستنادا إلى معايير الجودة. هناك عدد غير قليل من الطلاب والطالبات يتعلمون في الجامعة لتعديل أوضاعهم الاجتماعية أو لمكاسب مادية فقط دون أن ينعكس ذلك على سلوكهم اليومي، ونمط تفكيرهم، وقوة إنتاجهم. وأسواق على ذلك مثالين الأول هو الطالب الجامعي الذي يستخدم المكتبة في المناسبات البحثية بغرض إنجاز الواجبات المطلوبة منه فقط لا كعادة حضارية مبنية على تطوير نوعية الحياة بالبحث العلمي والاستمتاع بالأوقات من خلال الإطلاع والاستكشاف. إن الثقافة الصحية التي تدرس في المؤسسات التعليمية قلما يتم تطبيقها كتمارين فعلية فالاستهلاك السليبي للطعام، وقلة ممارسة الرياضة، والانبهار بكل ما هو غربي صورة من صور الانفصام في شخصية وعقل الإنسان العربي الذي يحصل على الشهادة للوصول إلى التعيين في الوظائف الحكومية أو تسهيل عملية الزواج أو للدخول في الانتخابات. إن التعليم هو تغيير في الذات كي تعي نفسها وتدرك قدراتها فتفعلها وهي فوق ذلك كله عملية مستمرة لا تتوقف مع الشهادة العلمية أو الدرجة الوظيفية إن بناء جامعة هو كسر للجمود ودعوة للتجديد.

إن العلم ينتج المال، ويبني الحياة وهو أمر محمود ولكنه ليس كل المقصود فالمتعلم لن ينال غايته حتى يجد في العلم لذته، وفي البحث متعته، فيهدب نفسه، ويطبق مبادئ العدالة الاجتماعية في محيطه ويدعن للحقائق ويتبعها لتغيير ذاته أولا.

لقد فقد التعليم العربي مكانته لأن ابتعد عن واقع الحياة وانشغل في عملية حشو المعلومات في أذهان اليافعين فاخترنا التعليم في إطار الكتب وانقطعنا عن الحقائق وفرطنا في تطبيق ما نتعلمه ولم نتعلم كيف نتعلم بشكل دائم. لقد صدق المربي البرازيلي الشهير باولو فرييري عندما وصف التعليم في العالم النامي بأنه تعليم بنكي يشبه ما يحدث في البنوك إذ تودع وتسترد الأموال بطريقة آلية فالمعلم يضع في ذهن المتعلم المعلومات ثم في ساعة الاختبار يسترجعها الطالب ويذكرها كما هي.

السؤال الثالث :

قيل إن الأمة العربية إذا أرادت أن تتحول إلى أمة عصرية تعيش في العالم المعاصر الذي يعتمد على المعرفة والتقنية وسرعة الاتصالات والتكتلات والتجمعات الإقليمية عليها أن تعيد النظر في فلسفة تعليمها .. كيف يمكن تحقيق هذه المعادلة لدينا اليوم ؟

إن فلسفة التربية والتعليم في عصر الأقمار الصناعية والانترنت والفضائيات لا تقوم على إلقاء للمعلومات وتخزين للبيانات لتخريج طائفة مطيعة من حملة الشهادات لتشغل الوظائف بصورة روتينية خاضعة لتقاليد عقيمة بل هي فلسفة متجددة تسعى إلى مساعدة المتعلمين على اكتساب طرائق التفكير وتنمية المهارات لحل المشكلات، وتشجعهم على العادات السليمة لمزاولة الحياة بصورة أفضل تفتق آفاق الإبداع في نفوس المتعلمين في حاضرهم ومستقبلهم.

تفتقر الأمة العربية إلى الخطط التربوية الشاملة المنبثقة من استقراء عميق للواقع وإدراك كامل للإمكانيات المتاحة والممكنة وهي عملية تتطلب جهوداً اجتهادية ومساهمات فكرية مكثفة تضع رؤية ورسالة وآليات تنفيذية وتحدد المهام العاجلة والأهداف الرئيسية وطرائق التقويم لسياسات وممارسات المؤسسات التعليمية في وطننا العربي على هدي ديمقراطية التعليم. يحتاج العالم العربي إلى تفعيل مؤسساته الثقافية المحلية والإقليمية لتضع برامج عمل للخط الشاملة التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة مما يتطلب تشجيع إنشاء مؤسسات تعليمية وبجئية تعنى بتنمية الكوادر البشرية ، وتحريك المياه الفكرية الراكدة في المؤسسات المهتمة بالتنقيف لنشر ثقافة العصر والقيام بمهمة الترجمة بكافة أشكالها ودرجاتها لإحداث التفاعل الحضاري والنقلة النوعية المنتظرة.

إن العقلية الثيوقراطية والقبلية والعلمانية حجبت العقل العربي من تحقيق المزاوجة الإيجابية بين مقاصد الدين وشؤون الحياة فتبعثرت جهود المخلصين، وحرمت النخب الثقافية المعتدلة من فرصة بلورة مشاريعها الفكرية لإنتاج خطط شاملة أو مشروعات تربوية ميدانية. إن استعادة عافية النهضة العربية لا تتحقق إلا بالحث على طلب العلوم الحديثة طلباً حثيثاً وفي نفس اللحظة نحتاج إلى أن نفهم الذات ونسير غور كينونتها، ونحترم الآخر ونعرف حقوقه دون تنكر للتراث العريق العميق لموروثاتنا الذاتية، وثوابتها الأصلية المتغلغلة في عروق عروبتنا، وروح حضارتنا، وسماحة إسلامنا. إن صراع النخب المثقفة في أقطارنا العربية أرهقت العقل ولعبت دوراً في مضاعفة التعثر والتبعثر في صفوف الصفوة والجماهير المتعطشة للتغيير. إن غياب الغايات ونقص الآليات التنفيذية من عوامل تقليص مساحات التعارف، ودوائر التعاون، وآفاق الابتكار. تلك المعركة الفكرية المزممة المترمة تظهر بجلاء في صياغة الكتب الجامعية التي تتحيز لمدرسة فكرية على حساب أخرى وترج بالقارئ في أتون مَعَامِع

أيدلوجيات خاسرة. إن الكتب الأكاديمية تجعل معالجة الأوضاع التعيسة من خلال منظور فئة معينة قد تمارس الإقصاء لكل المدارس التي لا تقر أو تتفق معها والأمر بالسوء نفسه في الكتابات الشعبية التي تستند إلى تبسيط الأمور وكسب الأوساط العامة التي تحتكر الصواب في فكرها وفكر من يسير في منظومتها ويقدم لها صنوف الطاعة وألوان الولاء فتهافت الفكر العربي في نهاية المطاف وأخفق المرءون في وضع فلسفة تربوية مستقلة بهويتها، متفتحة بحركتها. إن تميش المخالف هشم وحدتنا، وأضعف دراساتنا، وقلل سعينا حتى أفل نجمنا بعد أن كان باسما بازغاً لعدة قرون في شتى الميادين. ومهما يكن الأمر فالحاجة ماسة إلى تفعيل قوله تعالى "وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ"، (الأنفال46) وهذا يتحقق بإدارة تنفيذية ومجموعات منتجة قادرة على جمع الأطياف الفكرية وتقليص خلافاتها وتوجيهها نحو الأهداف العملية التي تعيد العافية والضيء لوعينا التربوي الذي آن له الأوان ليؤمن بالتعددية في التنظير والتطبيق. إن تنويع الرؤى وتوفير حق الاختلاف صار مطلباً فكرياً ملحاً، وملحاً حضارياً ضرورياً يجب أن نقر به ونسعى إليه في كتاباتنا، وندواتنا، وسياساتنا، وممارساتنا.

من هذه النقطة المفصلية، نجد أن الحوار التنموي بين المؤسسات التعليمية بجميع مشاربها من وسائل رأب الصدع ودعم النهضة كما أن إشراك الجماهير في الحوار وتنمية وعيها التنموي من متطلبات المرحلة القادمة التي تشجع المشروعات الصغيرة، والمساهمات الأهلية، والتعليم المستمر وترتبط مؤسسات البحث العلمي بواقع الحياة، واحتياجات التنمية.

إن العالم العربي الذي يحتضن نحو 209 مليون نسمة ويمتلك مساحة تبلغ نحو 13 مليون كم² قادر على العودة إلى مسرح الحياة - بعد أن عاش على هامشها وذاق مرارة التخلف دهرا - إذا أراد التغيير والتحرير وأدرك أن سر قوته في تلاحمه ونهضته في تحسين مستوى التعليم على أفضل هيئة وأكمل حالة. وتأسيساً على ذلك يكون تصويب المسار بنشر مظاهر الثقافة وترسيخ مبدأ التعليم الذاتي والمؤسسي وجعل القراءة والكتابة عصب الحياة، ومن أجل ذلك لا بد من استقطاب العقول المبدعة ورعاية المواهب الشابة لإثراء الميدان التربوي تنظيراً وتطبيقاً.

إنني أؤمن أن الرجل والمرأة في وطننا العربي لم يمارسا الحياة بكل قدراتهم الحقيقية إلى الآن وما زالت الطاقات معطلة أو مهدرة والوقت حرج والأمم من حولنا تتسابق نحو معالي الأمور. إن المرأة العربية المستهلكة قد تجوب الأسواق ويخفق نعلها في السهرات والسفريات وقلما ترابط في المكتبات وتقدم المنجزات وقد آن الأوان لتلعب دورها الريادي في محيط أسرتها وسماء مجتمعتها. إن تحقيق التوازن في اهتمامات المرأة بين الجانب الجمالي والجانب الفكري رسالة لا بد منها حتى تشرق حياتها روحياً وأسريراً ومجتمعياً.

السؤال الرابع :

.. ولكن كيف يمكن تحديد رؤية مستقبلية للعمل العربي المشترك القطري والقومي في القرن الحادي والعشرين وهل يمكن أن تفقد ذلك توجهات إستراتيجية محددة في ضوء المعطيات العربية التي تتسم بالخلاف أكثر من الاتفاق وبالمصالح والرؤى القطرية أكثر من تأكيد المصالح والرؤى القومية؟

هناك ميادين كثيرة للعمل المشترك وتستدعي وضع الخطوط العريضة لها وعلى رأسها تخلص الفكر العربي من الجهل والتردي ومن التبعية للأجنبي ولأن رفض الهيمنة أساس الحرية فإن الاستراتيجيات التربوية والمشاريع المستقبلية بحاجة إلى تحديد أهم التحديات المعاصرة والتطلعات القادمة ثم مباشرة وضع الحلول الوقائية والعلاجية لها. العمل العربي المشترك مسألة حتمية لا سيما في عالم يميل نحو الاستفادة من قوة العمل الجماعي والتكتلات القائمة على المصالح المشتركة. إن بُرُوْثوكولات التعاون بين المؤسسات العربية المعنية بالشأن التربوي تمهد الطرق لوضع موائيق ومعاهدات تربوية على مستوى الدول العربية قاطبة لترقية الحياة الثقافية على دعائم سليمة أساسها التمكن من العلوم والمعارف والأخلاق الفاضلة الموصولة بالهوية والمفصولة عن التبعية.

إن العالم العربي بأكمله يحتاج إلى الاتفاق على إعادة ترسيخ مسلمات غائبة عن واقعنا المعاصر وإن دور المؤسسات التعليمية تعميمها وتعميقها في سلوكيات وحركة المجتمعات . من المسلمات الغائبة رعاية حقوق الأقليات العرقية والدينية، وسيادة القانون، والمشاركة الشعبية، وتمثل أدب الحوار والاختلاف، والتعاون المثمر في دعم القضايا الدولية المتفق عليها من مثل المحافظة على البيئة . إن طبيعة العصر الذي نعيشه رغم تحدياته المؤرقة إلا أنه يعطي مساحات واسعة لتحرك المؤسسات الأهلية وغيرها لوضع مسارات تعاونية جديدة بل أصبحت الفضائيات، ومواقع الانترنت، والفنون من وسائل التأثير الموهولة التي يمكنها أن تلعب دورا مرموقا في توحيد الطاقات العربية المبعثرة والمعطلة.

وفي هذا الخضمّ تصبح مسؤولية الأسرة مسئولية جسيمة في عملية تحسين نوعية الحياة في المجتمع العربي. لا بد من تعزيز المؤسسة الأسرية عبر توفير مؤسسات فاعلة تخدم قضايا الطفولة والأمومة ومن خلال تجرّبي في المراكز المعنية بهذا الموضوع وجدت أن المنظمات العربية تمتلك خبرات ثرية ينقصها التواصل لتبادل الخبرات واكتشاف طرق التعاون والتكامل. لازالت توصيات كثير من المنتديات والمؤتمرات العربية حبيسة ظلمات الأدرج أو مركونة في زوايا المكاتب وهي تنتظر يد التنفيذ كي ترى النور. قال الشاعر خليل مطران (1288 - 1368 هـ / 1871 - 1949 م):

حَاجَتُنَا أُسْرَةَ تَقْوَمُ عَلَيَّ
 صَالِحَةُ اللَّبَقَاءِ سَالِمَةُ
 زَوْجٌ يَعِي لَلَّتِي تُشَاطِرُهُ
 وَذَاتُ بَعْلِ تَرْعَى لَهَا وَلَهُ
 وَعَيْلَةٌ يُعْتَنِي بِنَشْأَتِهَا
 إِنْ لَمْ تُرَبِّ الْبَنِينَ عَاقِلَةٌ
 أَوْ لَمْ تُصْنَنْ بِلَهَا مُهَذَّبَةٌ
 الْأُسْرَةُ الْأُمَّةُ الصَّغِيرَةُ إِنْ
 مَا قِيمَةُ الْحَيِّ نَصْفُهُ تَعَبٌ

مَا يَقْتَضِي عَصْرُنَا مِنَ النِّظْمِ
 جُسُومُهَا وَالْعُقُولُ مِنْ سَقَمِ
 حَيَاتِهِ بِالْعُهُودِ وَالنِّدْمِ
 بِالْعَقْلِ وَالْعَدْلِ أَقْدَسَ الْحَرَمِ
 لَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَوْلَادِ فِي الْقِسْمِ
 كَيْفَ صَالِحُ الْأَخْلَاقِ وَالشِّيمِ
 لِأَذَى بَرُكْنِ فِي الْبَيْتِ مِنْهُدِمِ
 تَنْهَضُ فَكَلَّتَاهُمَا عَلَيَّ قَدَمِ
 وَنَصْفُهُ فِي الْوُجُودِ كَالْعَدَمِ

إن الرؤية القطرية قدر لا مفر منه ولا يتعارض هذا الأمر أبدا مع المصالح والرؤى القومية فلا
 مناص من الجمع بينهما بل وبكل تأكيد فإن توافق الطرفين (الوطني والقومي) غير محال إذا وضعنا
 الأهداف وفق نظام صحيح ينبثق من بوتقة عوامل التكامل. المواطن الذي يكون مثاليا لوطنه لا شك
 هو الشخص النافع لقوميته فأحسان المرء لأمة وأمته سواء. لا شك أن الكثير من الحكومات العربية
 سلكت مسلكا مغايرا لما ينبغي أن يكون واعتاد الناس على لوم حكوماتها وبالغت في تصوير
 المؤامرات الخارجية ولكن الفئة المثقفة مسئولة أيضا عن هذا الركود المدمر مما يزيد الفجوة ويحول
 دون الانسجام بين تعميق المواطنة وبين تحقيق القومية. إن الجري خلف الحلول السياسية السريعة
 والإيمان المطلق بقوة القوانين والاكتفاء بلوم الآخرين زرع ثقتنا بأن التربية أساس التنمية المستقبلية،
 وأن الثقافة قوة غير مسبوقه، وأن الإصلاح عمل طويل مرهق لكنه استثمار طويل الأجل ومضمون
 الخاتمة ويجدد مصيرنا ويجدد طاقاتنا.

إن الاهتمام باللغة العربية والاعتزاز بها وجعلها لغة الحوار والمصير المشترك بين البلدان
 والأقطار العربية تجعلنا نراجع بأمانة قوامها نظرة فاحصة لأسباب ضعف العناية باللغة العربية محادثة
 وكتابة وتعلما وترجمة وانتشارا. إن وهن اللغة وذبول حيويّتها عَقَبَةٌ كَوُودٌ فِي طَرِيقِ عِزَّةِ الْأُمَّمِ
 ورفعتها. لقد نجحت المدارس الأجنبية في الديار الإسلامية وغيرها في نشر لغاتها وتذليل الصعاب لها
 حتى بسطت نفوذ قيمها وتراثها على أراضينا وفي نفوس كثير من أبنائنا وبناتنا. إنني أعتقد جازمة أن
 اللغة العربية في هذا العصر لم تنل حقها من العناية ولم نستغل التكنولوجيا الحديثة في تبسيطها،
 والتعريف بها، والترغيب فيها. قال المعلمُ بَطْرُسُ البُسْتَانِي (1819 - 1883) في كتابه **مُحِيطُ**
المُحِيطُ "الحمدُ لله الذي أنطق العربَ بأفصحَ الكلمات وجعل العربية شامَّةً في وَجَنَةِ اللُّغَاتِ". وقال
 صالح الشرنوبي (1343 - 1370 هـ / 1924 - 1951 م):

وهذه اللغة الفصحى تئن فمن
في روضة الخلد سقياها ومنبتها
ثمها من معاني الفكر تقطفها
وزهرها عبقرى النظم جن به
كفاك يا لغة الأحرار مفخرة
حديث طه وقرآن الإله وهل
يخنو عليها ويأسو جرحها القاني
وفي سماء المعالي فرعها الداني
يد الخيال وتهديها إلى الجاني
شعر الزمان فأمسى جدّ أسوان
وشاهداً بيننا عن رفعة الشأن
في جنب هذين من فخر لإنسان

السؤال الخامس :

لماذا غياب البحث العلمي الميداني في مجال التعليم والتربية وأين هو الاستثمار في مجال التعليم والتربية وأين هو الاستثمار في هذا الجانب وبالتالي لماذا الخلل في العلاقة بين التعليم والتنمية في الوطن العربي ؟

البحث نقيض التخلف تماما ومراكز الأبحاث والمعاهد المتخصصة علامة صحة المجتمعات. إن نهضة الأمم مقرونة بحركة الباحثين في تلبية احتياجات التنمية وخاصة في هذا القرن الذي يشهد تدفقا ثقافيا لا نظير له. للبحث العلمي أهمية كبيرة ومتنامية في ميدان التربية والتعليم ويستطيع الباحثون في المؤسسات التي ترعى البحوث والدراسات والاختراعات اكتشاف حقول علمية جديدة والوصول إلى إجابات لكثير من التساؤلات في مختلف نواحي الحياة.

تعتمد الدول المتقدمة ماديا اعتمادا كبيرا على الأبحاث العلمية في تقدمها وبناء حضارتها وتنفق أموالا طائلة على البحث العلمي. تنفق أمريكا 2.9% من دخلها الوطني على الأبحاث، واليابان 2.8% أما العرب فإنهم ينفقون على البحث العلمي نحو 0,3% وهذه نسبة تدل دلالة قطعية على عدم الإيمان بدور الأبحاث في التنمية المستدامة. لقد أنفقت اليابان المليارات لدعم حركة الترجمة وهي تجربة لا يمكن إغفالها في رقي الأمم ورسم السياسات الاقتصادية.

تتجه التربية الحديثة نحو حشد الإمكانيات الأهلية والحكومية لدعم مؤسسات التعليم. فعلى سبيل المثال ستقيم الجمعية التربوية للباحثين الأمريكيين (AERA) مؤتمرها السنوي لعام 2006 م تحت شعار: البحث التربوي ودوره في تنمية المجتمع (Education Research in the Public Interest) وتؤكد في دعوتها للمؤتمر على أن القرن الحالي هو قرن سيشهد المزيد من التلاحم بين الباحثين في الحقل التربوي وبين حركة التنمية المجتمعية.

يمكن النهوض بواقع البحث العلمي في عالمنا العربي من خلال عدة مداخل سأذكر بعضها في النقاط التالية:

- التوعية بأهمية البحث العلمي وإقناع المؤسسات المالية وغيرها بأن البحث خير ميادين الاستثمار وأن السخاء طريق النماء.
- إنشاء مؤسسات بحثية متخصصة تعطي الباحث صلاحياته في عرض النتائج بموضوعية.
- ربط موضوعات البحث العلمي بحاجات وتطلعات تنمية المجتمع.
- إعلاء شأن الباحثين وتشجيع جهودهم المثمرة.
- الإفادة العملية من التوصيات المدرجة في الأبحاث العلمية.
- تسهيل عملية الحصول على المعلومات والأرقام وتوفير قاعدة بيانات للباحثين والمهتمين.
- توظيف شبكات الانترنت في عمل الأبحاث العلمية.
- بناء جسور التعاون بين المؤسسات البحثية على امتداد عالمنا العربي.
- التعاون مع المؤسسات المناظرة عالمياً.
- رصد المشكلات والتعامل معها بمنهجية علمية.
- اكتشاف طرق توجيه الياfeين نحو التخصص في العلوم والتقنية.
- الأمانة في دراسة التحديات ولقد قرأت دراسات عديدة عن المستشرقين والفكر الغربي... فوجدتها تفتقر إلى التحليل الموضوعي العميق لكشف عوامل القوة والضعف في فكر الآخرين.
- فتح مسارات بحثية جديدة وتَرصد سَوَاحِ الفُرص لزيادة تلاحم أهل الخبرة مع أهل التخصص.

السؤال السادس :

هل صحيح أن البلاد العربية بدأت منذ بداية التسعينات إصلاح أنظمتها التعليمية وتطويرها بما يتفق وحاجات العصر والعولمة ؟

شهد النصف الثاني من القرن الماضي ثورة معلوماتية بلورت حركة العولمة وأفرزت أنماط معيشية جديدة وبفضل الاتصالات المتطورة دخلت البشرية عصر القرية الكونية الواحدة, ولا زلنا نشهد تجليات هذه المرحلة المثيرة في الأبعاد الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والنفسية.

هناك محاولات تقوم بها عدة جهات حكومية وشعبية لإصلاح التعليم في وطننا العربي لمواكبة الجديد ولكنها مازالت دون المأمول وتواجه عواصف داخلية وخارجية لا حصر لها. ويرجع سبب الإخفاق إلى عدة أسباب من أهمها غياب المشروعات الإصلاحية ذات الرؤى المحددة والأهداف الواضحة الموضوعية على مستوى مؤسسة عربية ذات وزن رفيع. إن المطلع على السياسات التربوية في اليابان أو أمريكا أو ماليزيا يدرك أن الأهداف المرصودة في تلك الدول في غاية الوضوح ولها تقاريرها التقويمية بصفة دورية ومن عدة جهات.

السؤال السابع :

هل نكتفي بتشخيص المشكلات ولا نذهب بعيدا في تحليل أسبابها وكيفية علاجها ؟ وهل يمكن التوجه إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لعلاج هذه المشكلات ؟

أعتقد أن تشخيص المشكلات من الخطوات الرئيسة للبدء بمعرفة أسباب العلل ثم وضع الخطط لكيفية الوقاية والعلاج لتلك المشكلات والأزمات. وأبعد من ذلك فإنني أقترح إيجاد لجان متخصصة لاستشراف المستقبل ورسم السيناريوهات المتوقعة على هدي الحقائق والتنبؤ العلمي كما أقترح دراسة الأزمات المتوقعة ووضع طرق التعامل معها قبل وقوعها وهي مجالات بحثية لها أسسها ومساراتها وفلسفتها.

تبدل المؤسسات التربوية من مثل الأليكسو (ALECSO) والإيسيسكو (ISESCO) واليونسكو (UNESCO) جهودا مشكورة ومازال الطريق أمامها يعج بالتحديات الصعبة فالمنطقة العربية منطقة غير مستقرة سياسيا وطوال القرن الماضي والحركات الإصلاحية تتعرض لانتكاسات متوالية . إن التربية الحديثة تعطي المؤسسات الثقافية دورا هاما في عملية تنسيق الجهود وتنمية الكوادر البشرية عبر عمل المؤتمرات وتحديد المشكلات التعليمية وإصدار النشرات والتقارير المتخصصة التي تساعد في تحليل الواقع ومناقشة كيفية علاج المشكلات.

إن المناهج الدراسية العربية تعكس في مجملها اجتهادات محلية ضيقة أو آنية قصيرة ولا تركز على فلسفة معاصرة شاملة ذات طبيعة عملية ونزعة مستقبلية. إن دور المؤسسات التربوية الكبرى وضع معالم رئيسة يستقى منها المربون الخطوط العريضة لمناهجهم المحلية.

تطمح المؤسسات التعليمية بتوثيق العلاقة مع المؤسسات والجمعيات والاتحادات في القطاع الخاص لتحقيق الرسالة التنموية الشاملة للمجتمع . تستطيع القطاعات الاستثمارية أن ترعى المشاريع

التعليمية وتهبها المعونات اللازمة لنهضتها ولقد قمت بزيارة بعض الدول الغربية ووجدت مكاتب عريقة ومؤسسات علمية بناها بعض التجار من مثل أندرو كارنيجي (1835-1919 م) الذي كانت لديه فلسفة تجارية فذة في توزيع تبرعاته المالية بطريقة تنم عن مواطنة صادقة وإحساس إنساني مرهف؛ فأسس مكتبة كارنيجي (Carnegie library) وجامعة كارنيجي ميلون (Carnegie Mellon University) وقد أنفق عليها بسخاء أموالا طائلة، ولا زالت هذه الصروح العلمية الأهلية تخدم ملايين المواطنين والمقيمين هناك مما يخفف العبء على كاهل الحكومة. ولقد زودت هذه المؤسسات بتقنية عالية مصحوبة بأحدث الإصدارات المرئية والمسموعة والمطبوعة. وفي وطننا العربي العزيز ثلة كريمة من التجار من أهل الغيرة والعقول الراححة رعت المشاريع التعليمية ولكن معظم الصلات والهبات والصدقات كانت موسمية مرتبطة برعاية حفلات تشجيعية ومشروعات صغيرة قصيرة الأجل. إن الأمل كبير في أن تقوم المؤسسات التجارية الكبرى في وطننا العربي بتقديم مشروعات أكبر وأعمق خدمة لقضايا التربية والتعليم على المستوى البعيد سواء عن طريق الهبات أو الاستثمار. قال جل ثناؤه "وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (البقرة:110). إن واقع العالم العربي يحتاج إلى تضامن الجميع وتكافل الكل لتوفير الإمكانيات اللازمة والأموال الكفيلة ببناء الصروح العلمية والمنشآت التي تخدم العلم والثقافة بكل أطيافها في الوطن العربي وإلا فإن تعطيل الطاقات، وتكبييل الحريات ستنهك جسدنا كما أن طوفان التطرف المحلي، وطغيان الغرب الخارجي سيزداد عَطْرَسَةً وَعَجْرَفَةً.

لا نريد أن نبخس حق اللجان والمؤسسات الكبرى العاملة في الميدان التربوي فالحمل ثقيل لأن الضعف العام للأمم العربية - كيانا ومكانة - انعكس سلبا على أداء جميع المؤسسات. ورغم ذلك فإن إعادة تفعيل المنظمات العربية الكبرى قضية ضرورية تحتمها طبيعة العصر الذي يعطي أهمية بالغة للتكنلوجيات الكبيرة ذات المشاريع الحضارية المرتكزة على الخطط المستقبلية الصائبة.

أعتقد أن التحديات في الساحة المعاصرة كثيرة ومعقدة ولكن روح التربية العربية الإسلامية تعطينا دائما شحنات من النشاط المصحوبة بالآمال التي تنتعش بالأعمال وَغَدًا سِينَسَخُ صُبْحُ الرَّجَاءِ ظُلُمَاتِ الْقُنُوطِ، وَغَدًا سِيخْضُرُ عُوْدُ الرَّجَاءِ مِنْ جَدِيدٍ.